

خطبة جمعة بعنوان :

الوسائل الحميدة في أسباب الحياة السعيدة

للشيخ الفاضل

أبي عبد الله

عبد الرحمن بن عبد المجيد الشميري

حفظه الله

٢٨ ربيع الآخر ١٤٤٣

مسجد الشميري تعز

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

أيها الناس، إن الناس جميعاً في هذه الدنيا يطلبون السعادة ويبحثون عنها بكل وسيلة،

وقد اختلفت آراء الناس في أسباب السعادة والحصول عليها، فهذا يظنها في جمع المال

والدراهم، وهذا يظن أن السعادة في المناصب الرفيعة، وهذا يظن أن السعادة في الوظائف،

وهذا يظن أن السعادة في المراتب الفارهة، وهذا يظن أن السعادة في القصور الشاهقة، وكل

يدلي بدلوه في البحث عن السعادة، وهذه الأمور التي ذكرت ليست هي السعادة كلها بل قد

تكون جزءاً من أجزاء السعادة، وإلا فقد تكون وبالاً على صاحبها، فإن المال إذا لم يستخدمه

الإنسان في طاعة ربه لربما كان عذاباً عليه، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿فَلَا

تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ [سورة التوبة: ٥٥].

هذه سعادة مؤقتة، سعادة المال سعادة مؤقتة، تزول بزوال المال، ولست أرى السعادة في جمع مال، ولكن التقي هو السعيد، التقي هو سعيد في هذه الدنيا وفي الآخرة، ليست الدنيا هي كل السعادة، السعادة أن تنجو من النار، وأن تنال الجنة، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۚ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥]

ليس السعادة في المال فحسب، ليست السعادة في المناصب فحسب، بل ربما تزول السعادة بزوال المنصب، وهكذا أيضا ليست السعادة بأي أمر من أمور الدنيا فإنها سعادة مؤقتة تزول بزوالها، ولكن السعيد حق السعادة هو من سعد بطاعة الله سبحانه وتعالى، فلذا أحببت في هذه الخطبة إن شاء الله تعالى أن أذكر ما تيسر من أسباب السعادة الحقيقية التي من فعلها فقد سعد سعادة حقيقية، ليست كسعادة أهل الدنيا سعادة مؤقتة تزول بزوالها، بل هي سعادة أبدية، سعادة مباركة، سعادة لا تذهب ولا تزول ولا تضمحل، من أعظم أسباب السعادة عباد الله هو الإيمان والعمل الصالح، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۚ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٧] قال ابن عباس رضي الله عنهما: الحياة الطيبة هي الحياة السعيدة.

السعادة عباد الله شعور يضعه الله عز وجل في قلوب عباده الصالحين، وإن كانوا في هذه الدنيا في ضيق في المعيشة إلا أنهم يجدون سعادة في نفوسهم وفي قلوبهم، يقول

العلامة ابن القيم رحمه الله وهو يحكي حال شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: ومع ما كان فيه من ضيق السجن إلا إنه كان من أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم عيشًا، وأنعمهم قلبًا.

تنوح نظرة النعيم في وجهه، وكنا إذا ضاقت بنا الأرض، واشتد بنا الكرب، اتيناه، فما هو إلا أن نسمع كلامه ونراه حتى ينقلب ذلك قوة وثباتا وطمأنينة، الله أكبر إنها السعادة بطاعة الله عز وجل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحم الله: إن في الدنيا لجنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

وقيل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إن السلطان يريد أن ينفيك إلى قبرص، أن يخرجك من بلادك إلى بلاد أخرى، وبلاد قبرص بلاد من بلاد أهل الكفر، إن السلطان يريد نفيك إلى قبرص أو يريد قتل أو سجنك، فقال والله إن بي من الفرح والسرور ما لو كتب على أهل الشام لو سعه، والله أني لك الغنم لا تنام إلا على صوف، إن نفاني إلى قبرص دعوت أهلها إلى الإسلام، سأستغلها فرصة أدعو أهلها إلى الإسلام، فلن تكون هذه نقمة، بل ستكون لي سعادة. وقال: ما يصنع أعدائي بي، أنا جتني في قلبي، وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. هذه هي سعادة المؤمن الذي يجدها في قلبه.

يقول بعض السلف: والله إنه لتمر بي أيام أقول إن كان أهل الجنة في نعيم مثل هذا إنهم لفي عيش طيب. ويقول بعض السلف: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف.

الله اكبر، إنه ليس نعيم الدنيا، ليست سعادة الدنيا، إنه نعيم طاعة الله، إنها سعادة طاعة الله، الإيمان بالله والعمل الصالح، سعادة يجدها الإنسان في قلبه لا بعدها سعادة، نعم عباد الله.

من أسباب السعادة المرأة الصالحة، فالله سبحانه وتعالى يسعد زوجها بها، روى ابن حبان في صحيحه (٤٠٣٢) وأحمد في مسنده (١٤٤٨) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء**». هذه أربع من السعادة، ومنها المرأة الصالحة، المرأة الصالحة تكون سبباً لسعادة زوجها وراحته وطمأنينة قلبه، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**»، رواه مسلم (١٤٦٧) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما.

فاختر يا عبد الله المرأة الصالحة، إياك إياك أن تغتر بذات الجمال وليست بصالحة، أو أن تغتر بذات المال وليست بصالحه، أو أن تغتر بذات الحسب والنسب وليست بصالحة، تنكح المرأة لأربع، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**» رواه البخاري (٤٨٠٢) ومسلم (١٤٦٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وإن كانت ناقصة الجمال ستسعدك، اظفر بذات الدين وإن كانت ناقصة المال ستسعدك، اظفر بذات الدين وإن كانت ناقصة النسب والحسب ستسعدك وستريح قلبك، نعم عبدالله أتدرون ما أوصاف المرأة الصالحة؟ روى الإمام أحمد في مسنده (٧٤٢١)

، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سُئِلَ عن خير النساء؟ فقال: **«التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره.»** هذه هي المرأة الصالحة، تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله.

من أسباب السعادة عباد الله أن ترضى وأن تؤمن بالقضاء والقدر، هذا من أسباب سعادتك، وانشرح صدرك، وطمأنينة قلبك، مهما حصل لك من مكروه وأنت مؤمن بالقضاء والقدر تجد السعادة، فإن الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **«لو أن الله عذب أهل سماواته، وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رَحِمَهُم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله، ما قبَّله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم: أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار.»**

رواه الإمام أبو داود (٤٦٩٩) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعاً، وجاء عن أبي بن كعب موقوفاً عليه.

وثبت عند الترمذي (٢٥١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو

اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن

يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، وهو

في الصحيح المسند (٦٩٩) للشيخ مقبل الوادعي رحمه الله.

سلم للقضاء والقدر تراح وتسعد والله، يقول عمر رضي الله عنه: أصبحت وما من سرور إلا في مواضع القضاء والقدر.

ويقول عبيد الله بن عتق بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

اصبر على القدر المحتوم وارض به وإن أتاك بما لا تشتهي القدر

فما صفا لا مرئ عيش يسر به إلا سيتبع يوما صفوه كدر

فارضى بالقدر، واصبر بالقدر على القدر المحتوم، قدر محتوم لا بد أن يقع لا محالة، حصل لك مكروه اطمئن واعلم أن هذا بقضاء الله وقدره، فإن هذا يسعدك، ويريح قلبك، ويشرح صدرك.

من أسباب السعادة عباد الله أن تتناسى ما مضى من المكروه، وألا تشغل قلبك بالقلق على مستقبل عملك، فتتخيل أنه سيحصل لك في المستقبل فقر وخوف وما إلى ذلك، تتوهم هذه الأمور، وتظن أنها ستحصل لك في مستقبلك فتبقى قلقاً، هذا ليس بجيد، هذا لا يجعلك تعيش عيش السعداء، إن أردت أن تعيش عيش السعداء تتناسى ما مضى من مكروه، واصبر عليه، وطمئن قلبك وأحسن ظنك بربك في مستقبل أمرك، فإن المستقبل بيد الله ليس بيدك ولا بيد أحد من المخلوقين، أمر المستقبل إلى الله، أمر المستقبل مجهول من خير أو شر، من آمال أو آلام، كلها مجهولة لا يعلمها إلا رب العالمين سبحانه وتعالى، فتوكل على الله، وطمئن قلبك، ولا يصيبك القلق فيما تستقبل من أمرك، قل إن الأمر كله لله، يقول الله عز وجل: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [سورة الروم: ٤].

ويقول سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۚ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران: ٢٦].

هذا إن أنت فعلت بذلك سعدت وارتاح قلبك وانشرح صدرك، نسأل الله عز وجل أن يشرح صدورنا، وأن ييسر أمورنا، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أما بعد:

من أسباب السعادة والراحة النفسية أن تكثر من ذكر الله سبحانه وتعالى، ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في الوابل الصيب ذكر مائة فائدة تحت الذكر، أو قال إن للذكر أكثر من مائة فائدة، وذكر منها أنها تطرد الهم والحزن، وأنها تجلب الفرح والسرور وطيب العيش، الإكثار من ذكر الله سبحانه يجلب لك الفرح والسرور وطيب العيش، قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۚ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد: ٢٨].

من أسباب السعادة عباد الله أن تقنع بما رزقك الله، فإن الإنسان إذا أقنعت بما رزقه الله وبما قسم الله له حصلت له سعادة عجيبة، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قَدْ أَفْلَحَ

مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ « رواه مسلم (١٠٥٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما.

تريد الفلاح، تريد السعادة، طبق هذا الحديث "قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه.

فاقنع بما آتاك الله من رزق حلال طيب، والله سبحانه وتعالى سيسعدك به، وسيريحك به.

وهكذا أيضا من أسباب السعادة أن تعلم أن السعادة الحقيقية هي في الآخرة، أما هذه الدنيا فإنها دار ابتلاء وامتحان واختبار، دار المصائب، ودار الابتلاءات، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [سورة البلد: ٤].

ويقول الله عز وجل مخبرا عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا آلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥].

والرسول صلى الله وآله وسلم يقول: «الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»، أخرجه مسلم (٢٩٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل للإمام أحمد متى يرتاح المؤمن؟ قال: إذا وضع أول قدمه في الجنة.

عند أن يضع أول قدم في الجنة يرتاح المؤمن، يذهب حزنه، ويذهب همه وغمه، فالراحة الحقيقية هي في دار الجنة، أما هذه الدنيا فوطن نفسك فيها عبد الله، إنها دار ابتلاء وامتحان، وطن نفسك على الصبر على بلوائها، وطن نفسك على الصبر على مصائبها، لأنها طبعت

على هذا و خلقت على هذا، تريد الراحة والسعادة الأبدية هي في الجنة، أطلبها بأسباب دخول الجنة، وأسباب النجاة من النار.

من أسباب السعادة وبه نختم إن شاء الله ما دل عليه حديث المقداد عند أبي داود (٤٢٦٣)، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "

«إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنََ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنََ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنََ وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهَا».

هذا الحديث العظيم يبين لنا فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من هو السعيد حقا، إن السعيد لمن جنب الفتن، يؤكد هذا ثلاث مرات أن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، فتريد أن تكون سعيدا عبد الله، مرتاحا راحة نفسية اجتنب الفتن، اجتنب سفك الدماء، القتل والقتال، الهرج والمرج. اجتنب الحزبيات، اجتنب كل ما يقلق قلبك، اجتنب المشاكل بينك وبين الناس، اجتنب المشاكل، اجتنب أذية الناس، هذه كلها تسعدك، هذه كلها تريحك، إن السعيد لمن جنب الفتن، أما الذي هو ولا جا في الفتن كلما رأى فتنة ولج فيها، ولربما تسبب في إشعالها هو، هذا يصيبه من القلق، ويصيبه من عدم السعادة بحسب ذلك، بخلاف المتجنب للفتن، المحسن إلى خلق الله عز وجل، يتعد عن أذيتهم، بل يحسن إلى الناس بقدر ما يستطيع من الإحسان، يجد من السعادة والراحة النفسية ما الله به عليم، وهكذا أيضا ثم قال: "ولمن ابتلي فصبر فواها" هذا أيضا من أسباب السعادة أنك إذا ابتليت فتصبر وتحسب وتعلم أن هذه بلوى سبب لتكفير ذنوبك وخطاياك، وأنها سبب للخير لك ولحصول الخير لك، وأن الله سبحانه وتعالى ما ابتلاك بها إلا ليختبر صبرك،

فتصبر وتحتسب، فالله سبحانه وتعالى يجعلك من السعداء الذين يجدون السعادة في قلوبهم، هذه بعض من أنواع السعادة، ومن أسباب السعادة، نسأل الله عز وجل أن يسعدنا، اللهم أسعدنا بطاعتك يا أرحم الراحمين، اللهم اجعلنا من السعداء ولا تجعلنا من الأشقياء، اللهم فقهنا في الدين وعلمننا التأويل، اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

فرغها أبو عبد الله زياد المليكي.